

الرسالة

بجدة أسبوعية للثقافة والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ مليا

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٢٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٦ — ٢٦ مايو سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

عجائب الشحاذين وأصحاب الملايين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

أن يرفضوا نصف المليم ولا يمدوا أيديهم إلى مادون خمسة مليات ،
وعليهم أن يرفضوا الصدقة إذا نقصت عن القيمة المقررة على الوجه
الذي يرونه بالغاً في التأنيب والملازمة . حسبما يقتضيه الموقف
أو يقتضيه الحال .

هذا هو الخبر المعجيب !

وهو ولا شك من « علامات الزمن » كما يقولون . لأننا في
زمن الإدعاء والطلب بالحق وبالباطل : كل من يزعم له حقاً وكل
يطالب بحق ، حتى من لا عمل له ولا ممول له على نفسه . وما من
أحد قط يذكر الواجب عليه أو ينظر إلى حقوق الآخرين .
وقد كانت مصر تدعى من قديم الزمن ببلاد المعجائب ،
أو تدعى على الأسح ببلاد المفارقات .

وكان أهل مصر يقولون على سبيل الإغراب في الدلالة على
التبجح والصفافة : « حسنة وأنا سيدك ! » ويخيل إليهم أنها
غاية الغايات في الإدعاء وقلة الحياء . ولكنه عصر غابر ومعجائب
تاريخية وأزمنة متأخرة ... وما هي في حساب بلاد المعجائب على
الطراز الحديث إلا من وقائع الصحافة وأخبار كل يوم !

ترى ماذا يكون لو قبلت هذه « الحقوق » بالرفض والإهمال
من فريق « المتصيين » ؟

أيضرب أصحاب الحقوق ؟

لوفعلوا لكان خطراً جسيماً على المحسنين . لأنهم يبحثون
عن أبواب السماء فلا يجدونها ، ويدورون على أبواب الرجاء

هذه المعجائب وتلك — كلتاهما من عجائب أميركا .
وهي بلاد المعجائب بغير حدود من السكان ولا من طبقات
السكان ؟ فإنها لتجود بالمعجائب في الشمال وفي الوسط وفي
الجنوب ، وإنها لتجود بها على أيدي « التسولين » كما تجود بها
على أيدي أصحاب الملايين .

وأنعجب المعجائب حقاً ما جاء من الوسط على رواية بعض
الأنباء البرقية . ولا أعجب ... فإنك لتستطيع أن تقول « أعجب
المعجائب الوسط » كما تقول خير الأمور الوسط . فلا تمدد الصواب .
وببلاد المكسيك هي البلاد الوسطى بين الشمال والجنوب في
القارتين الأمريكيتين .

وعجيباتها الروية هي عجيبية الشحاذين ، وهي أعجب ما سمعناه
من بلاد المعجائب في هذه الأيام .

درى عن صحيفة « اليونفرسال جرافيكو » المكسيكية أن
الشحاذين في عاصمة المكسيك قد اتفقوا على الحد الأدنى الذي
ينبغي أن يقبلوه ليكون لهم عمل مجد على قدر استطاع . وقرروا

والظاهر فيقال لهم « بمن » أو يرزقكم الله . ودقة بدقة أو بدقات ، وطريقة على الأبواب بطريقة على الأبواب أو بطرقات ! ويكون الجزاء على هذا من جنس العمل ، في شريعة من لا يعملون ! وإذا صح أن الصدقة باب السماء فقد أصبحت مقاليد السماء إذن في أيدي « سدنة » العصر الحديث ، وهم أبناء السبيل أو أبناء محراب الطريق .

وكل ما بقي من منافذ الرجاء للمحسنين السالكين أن يكون للسماء أكثر من باب واحد .

فمسي أن يبحث عنه المحسنون موفقين .

وعسى ألا يسبقهم كهان السبيل على الأبواب .

ومتى أصبحت « الشحاذة » على هذا المنوال فلسوف يصبح كل محسن في العصر الحديث على غرار ذلك المحسن الوحيد الذي قال فيه الشاعر العربي :

تراه إذا ما جشبه منهلًا كأنك تعطيه الذي أنت سائله !

تلك هي أمجوبة الشحاذين .

أما أمجوبة أصحاب الملايين فمن محاصيل الشمال في تلك البلاد التي فاضت بجميع أنواع المحاصيل .

وأما بطلها العجيب فهو رجل يدعى « البرت لايت » باع مصانمه وقصوره وسياراته وقبع هو وزوجته في خمس حجرات مزرية في إقليم فلادلفيا ... وقال لمن سأله : ولم اكتفيت بهذه الحجرات الخمس وهي من مساكن أصحاب الكفاف ؟

فقال : إنها جهد ما تستطيع الزوجة العاملة أن تتولاه بالخدمة والرعاية ، وهي مع ذلك كافية لماواه وماوى ذويه الأقربين .

لو كان هذا الرجل في الشرق لحجروا عليه ، وأتهموه بالجنون المطبق ولم يكن قصاره من التهمة أنه مخلوق عجيب .

على أنه في الحق عجيب بين الناس لأنه نادر المثال بينهم ، لأنه غير مفهوم أو لأنه منحرف عن منهاج العقل السليم .

فالعقل كل العقل ما صنع وحده .

والمعجب كل المعجب ما يصنعه جميع الناس في كل مكان .

لأن الناس لا يحبون لرجل يودع عشرين مليوناً من الذهب في مصرف من المصارف ولا يحتاج إلى درهم منها لنفقة يومه

أو غده ، أو لنفقة أحد من تلزمه النفقة عليه .

وما الفرق بين عشرين مليوناً من الذهب باسمك أنت وعشرين مليوناً من الذهب باسم رجل آخر تعرفه أو لا تعرفه بين مخلوقات الله الذين يحبون باللايين .

ما الفرق بين مال تملكه ومال لا تملكه على هذا الحساب ؟ ما الفرق بين مليم تستغنى عنه وألف مليون من الدنانير تستغنى عنها ؟

لا فرق بينهما في حساب العقل السليم .

بل ربما كان الفرق في هذه الحالة أن المليم أفضل وأوفر من ألف المليون .

لأن هم المليم في التفكير والحساب أهون من هم الألف والمئات والعشرات .

وكل ما هنالك أنه تنافس على الهباء أو بطر ومزاج في تلقين المخاوف والأخطار .

تنافس على الهباء ليقال إن صاحب الألف أغنى من صاحب المائة أو العشرة .

وبطر أو مزاج في تلقين المخاوف والأخطار ، لأنك تضحك من تلك المخاوف والأخطار لو لم تكن قادراً على توم الحاجة واختلافها من المدم ، وأنت لا تخلقها من المدم لو استغنيت عنها واستغنيت عن تلك الأموال .

غنى من الوهم تدفع به حاجة من الوهم . فأت في غناك وفي حاجتك من الواهمين .

وإنما الغنى الصحيح كل مال تحول في نفسك إلى إحساس صحيح . فلا قيمة لال لا يمثله في خزانة النفس رسيد من الإحساس ، وكل ما في خزائن الأرض من الذهب والفضة هو ما لك أنت إذا كان قصارك من المال أن نجمة في خزانة أو تكتبه في أوراق المصرف بحروف اسمك بدلا من سائر الحروف .

أكان « البرت لايت » عجيباً كما وصفته الصحف ووصفه قراء الخبر في المغرب والشرق ؟

نعم إذا كان العجيب هو النادر الخالف للعالم .

وكلا وألف مرة كلا كما يقول خطباء الحماسة إذا كان العجيب هو الشائع الخالف للمعقول .